



مساعد حبيقه السابق يكشف ملفات من الحرب اللبنانية . أسعد شفتري : ذهبت الى جعجع والقنبلة بيدي ... وفي زحلة كان الجحيم في انتظارنا 3 من 3

حازم الأمين **نشر في الحياة يوم 16 - 02 - 2002**

الملف الذي بين ايدينا هو حكاية رمز من رموز الحرب اللبنانية و"الحياة" لم تتدخل سوى في اعادة توليف الرواية بعد ان قدمها صاحبها بتفاصيلها ووقائعها. حاولنا هنا خلق سياق لهذه الوقائع، وحاولنا ايضاً تقريب رو الاجتماعية والنفسية لراويها. دفعنا باتجاه تقديم الحرب على انها رواية صغيرة، صغيرة ليس بوقعها وبنتائجها ولكنها ص صعباً لسببين، الأول ان اسعد شفتري خاض الحرب ملتصقاً بجماعته ومندمجاً في اوهامها وهواجسها، والثاني ان اسعد شفتر هذه حالهم لا يجيدون الكلام، فهم دائماً خلف الصورة. على قدر ما هم حقيقتها وجوهرها.

أعدنا كتابة اجزاء من سيرة شفتري ولا ندعي هنا اننا انجزنا ملفاً من ملفات الحرب اللبنانية، فهذه الأخيرة لم تنجز بعد رواياً والوقائع والمآسي، ولم يتقدم احد بعد بما لديه. أسعد شفتري حاول هنا، لعلنا نوفق بمحاولات اخرى.
تحدث شفتري عن نشأته في ظل اجواء الشحن، وعن انخراطه في أسلاك الكتائب والقوات اللبنانية، روى آلية التحكم بمصائ عليه من رجل دين غفر له إعدام مئات المخطوفين. مشاريع تخفيض نسب الخصوبة لدى الطوائف الأخرى، والعلاقات العنيفة ال وهنا في الحلقة الثالثة يتحدث شفتري عن الخطط التي اعدت لفترة حكم الرئيس بشير الجميل، وعن ذلك الخروج الجحيمي الى

كل آل الشرتوني الذين نعرفهم ومن بينهم رفاقنا. وفي حينها تأكد لنا ان منزل بشير في الأشرفية خال من اي عبوة وان امكان
يصبح رئيساً انتزعت منا مهمة امنه المباشر، واسندت الى جهاز امن خاص.
اصابني احباط لا يوصف عندما تيقنت من موت بشير. احساس كبير بالمسؤولية، واسئلة لم اكن قد هيأت نفسي للاجابة عنها. ل
جاهزة لقيادة جماعية، زعزع موته كل الركائز. اضطررنا لمبايعة شقيقه امين الذي نشأنا على كراهيته، وكانت الكأس المر
الكأس التي شربناها بموت شقيقه بشير. امر آخر ربما خفف من وقع اغتيال بشير علينا، فقد كنا نعيش نشوة انتصارنا على ال
من الدوائر الأبعد حول بشير، اما نحن الدائرة الأضيق ومطبخ خططه الرئاسية فقد راح احباطنا يبرد، ولكنه تحول الى صا
مشاريعنا واحداً بعد الآخر. اجل الخطط التي اعددناها لفترة حكم بشير لا يمكن لغيره ان يتبناها. لقد خطط بشير لاستحداث منصب
مارونياً ايضاً، كما شغلتنا نحن مطبخ الخطط الرئاسية قضايا من نوع تأمين التوازن الديموغرافي بين المسلمين والمسيحيين
الأمر والتي اشكر الله على عدم تمكننا من تحقيقها، تتمثل بضرورة ان تتناقص اعداد المسلمين 500 الف نسمة. لم نفكر بالو
ولكننا طرحنا افكاراً مختلفة منها على ما اذكر خفض معدلات الخصوبة عبر مواد توضع في المياه التي تضخ عبر شبكات المياه

كان كثيرون من قادة الأحزاب المسيحية يعارضون ما نفكر به، واستمروا معارضين حتى اللحظة الأخيرة، الشيخ امين كان من
كنا حائرين بخططنا هذه، إذ شعرنا ما ان بدأ بشير يقترب من الرئاسة بضرورة مخاطبة الآخر، فالفرق كبير بين ان تكون معتبر
قوياً ومنتصراً.
علاقتنا بالجيش اللبناني تفاوتت خصوصاً في عهد امين الجميل، ولكننا حين كنا نشاغب عليهم كنا كمن يشاغب على والده.
يصدرها الجيش لعناصره واجهزته وعندما كنا نحتاج لأعداد اضافية من هذه البطاقات كنا نزور اعداداً منها. واذكر حادثة حد
القوات عدداً من البطاقات الحقيقية الى وزارة الدفاع لتجديدها ولكنه ضمنها خطأً بطاقات مزورة. هذا الخطأ لم ينجم عنه شيء
وزارة الدفاع مجددة.

وفي هذه الفترة من بداية حكم أمين الجميل قمنا بأعمال أمنية عدة في بيروت الغربية. اعتقلنا ناشطين في الأحزاب الفلسطين
الرموز الذين قررنا ازالتهم.
وفي العام 1984 شعرت بضرورة تحسين وضعي المادي. فقد كنت اتقاضى راتبي من القوات، ولكنه لم يكن يكفي، في حين كا
اي دولة تفرض الضرائب على مختلف الانشطة الاقتصادية، وبما اننا كنا سلطة كانت لنا الافضلية. تشاركت انا وعدد من
الحازمية. غيري ايضاً استفاد من هذه الافضلية، فتاجر بالسلاح، وآخرون كالمحامين مثلاً دخلوا الى العمل المصرفي، والبعض
وفي هذه الفترة ايضاً كنا عائدين من الحلم الاسرائيلي حاملين خيبتنا الكبيرة. لقد اعتقدنا ان الاسرائيليين احبوا المسيحيين و
يحاكي وطنهم. الخيبة كانت كبيرة، والأسلوب الذي تصرف فيه الاسرائيليون في الجبل ولاحقاً في شرق صيدا، اثبت لنا ان مصال

بدأ أمين الجميل في هذه المرحلة يمد نفوذه الى داخل مؤسسة القوات اللبنانية. فأصبح قائد القوات ابن شقيقته فؤاد ابي ناضر،
بشير وقعه ويقضي بأن تعترف القوات اللبنانية بأنها تابعة لحزب الكتائب، وان اعضاءها انتموا اليها بإذن من الحزب. شعرنا ب
ضمن حزب الكتائب وانه لن يعود لنا خطنا السياسي المستقل. حملنا في تلك الفترة مشاعر متناقضة، منها الخوف على السلطة
قيادة القوات في هذه الفترة كانت تتوزعهم مراكز قوى. فؤاد ابي ناضر قائد ضعيف، وايلي حبيقة شريك عبر جهاز الأمن وسمير
التي كانت وراء الانتفاضة الاولى في القوات اللبنانية، والتي ازيح بعدها ابي ناضر عن قيادتها، لتتسلمها من بعده قيادة جديد
القسمة التقليدية، اي حبيقة الأمن وجعجع العسكر، وجرى توزيع النفوذ لاشراك القطاعات المختلفة، فالاعلام لهم جعجع ولنا
مشرف عليها. وكنت أنا مأخوذاً في هذه التوزيعات ومراقباً لمدى انصافنا فيها.

القوات اللبنانية عاد وانتعش بعد ان كان هزم في الجبل وشرق صيدا. وصلتنا معلومات عن حشود سورية في المناطق المحاذية في حال قرر خوض معركة القوات اللبنانية. جرى اجتماع للقيادة الجديدة، قوّم خلاله الوقوف في وجه السوريين. لقد فقدنا ا تنهار جبهتنا في أقل من يوم واحد. اصبحنا مضطرين للاتصال بالسوريين.

لم تكن قيادة القوات قيادة منسجمة، اذ شهدت مؤسسات القوات في مرحلة قيادتها الجماعية تجاذبات من انواع مختلفة وصلت كان سلطوياً شخصياً، ومناطقياً بالدرجة نفسها. انها مقدمات الانتفاضة الثانية التي جاءت بايلي حبيقة قائداً للقوات. والانتفاض وانما امنية، وقمنا بتنسيقها في شكل محترف ودقيق. فقد كان مكتب كريم بقرادوني في مبنى جهاز الأمن ووصلت الينا معلوم مع امين الجميل بالتنسيق مع سمير جعجع، وان اتفاقاً سرياً يحضر من وراء ظهرنا يؤدي الى مبايعة سمير جعجع. دخلنا خلس كتاب موجه منه ومن سمير جعجع الى أمين الجميل يعرضان فيه استعدادهما للتعاون معه.

سلمنا الكتاب لحبيقة، الذي انتظر موعد اجتماع مجلس قيادة القوات. وقبل الاجتماع ارسلنا مجموعات امنية الى مكتب القياد مراكزنا ولكنها كانت في منطقة تابعة لسمير جعجع. ارسلنا عسكرنا الى سطوح الابنية والى محيطها، اذ لم نكن نقدر ماذا سيجر في هذا الاجتماع صدم حبيقة المجتمعين بابرازه الرسالة مؤكداً ان القيادة يجب ان تكون لشخص واحد. وتحت تأثير هذه الص نجح فيها ايلي حبيقة وصار رئيساً للقوات اللبنانية، وصرت انا تلقائياً رئيساً لجهاز الأمن فيها، وخرج سمير جعجع بعد الاجتما لم تكن قيادة حبيقة للقوات تعني سيطرته على كامل مؤسساتها، فقد بقي جعجع على رأس الجهاز العسكري وبدأت تجاذبات ال من محاولات اغتيال متبادلة الى عمليات عسكرية رمزية، خصوصاً ان الجيش اللبناني دخل هنا على خط التجاذبات القواتية عبر عسكرنا كان ميليشيات غير منظمة خلافاً لعسكر سمير الذي كان منظماً في وحدات مركزية. كانت لدينا ثكنة مركزية واحدة. لم ن محاولة اغتيال

في 31 كانون الثاني يناير عام 1985 تركنا حبيقة وأنا منزلينا في منطقة ادما. نزلت انا في اتجاه بيروت وهو ذهب الى جو الأمنية التي ترافقني كوني كنت ضمن الوفد الذي راح يفاوض تحضيراً للاتفاق الثلاثي. سيارتي كانت مصفحة وكانت تواكبني ، او قبله بقليل، وهناك تعرضنا لكمين. فقد كانت تنتظرنا سيارتان مفخختان، انفجرت الاولى وانهال علينا عناصر الكمين بقذائف تنفجر. اذكر انني لم اسمع صوت الانفجار، ولكن مرافقي الذي كان يجلس الى جانبي كنت انا اقود السيارة، نبهني. وبعد مساف ارى امامي، توقفنا وخرجنا من السيارة. السيارتان المرافقتان لم اعد ارى اي اثر لهما. وصلنا الى منعطف الياس الاسمر، وأوق الا مسدس صغير، وكان الرصاص من حولنا كثيفاً. صودف في هذا الوقت عبور رجل مدني بسيارته. اوقفناه، فاعترض وقال حياته، فطمأناه الى اننا لن نسرقها ولكننا نريده ان يوصلنا الى المركز. وما ان وصلنا حتى ابلغنا حبيقة بما جرى خصوصاً ان وكانت النتيجة ان قتل احد المرافقين وأصيب آخر اصابة ادت الى شلله.

توصلنا لاحقاً الى خيوط هذه العملية. كان ما جرى نتيجة طبيعية للأجواء التي كانت سائدة. فقد كان جعجع يعتقد ان عملية ك عملية عسكرية شاملة تجعله قائداً للقوات. وما جعلني اتيقن من ان الهدف كان حبيقة، ذلك الاتصال الهاتفي الذي هنأني فيه كر

في الثاني عشر من الشهر الذي تلا هذه الحادثة قمنا نحن بهجوم محدود على منطقة ساحل المتن الشمالي هدفها الايحاء بأن "يمون" عليها. لم يكن المقصود بالهجوم احتلال المتن بقدر ما كان المقصود اظهار أمين ضعيفاً. وهذا ما حصل فعلاً. فقد مفاوضة السوريين. وبعد ثلاثة ايام من هذه العملية قام سمير جعجع بعمليته الشهيرة.

يقع جهاز الأمن في خمسة مبانٍ متباعدة قليلاً تفصلها حدائق صغيرة. كنا حريصين على جمال المكان. الأبنية لم تكن مرتبطة ب خطأ فعلياً.

بدأ جعجع هجومه من الشمال واخترق جونيه وكسروان ووصل الى المتن حيث كان في انتظار أمين الجميل حليفه المفاجئ. كنا ومعركة اسقاطنا حصلت هناك. افقنا في السادسة صباحاً، وكانت قذائف ال"آر بي جي" تسقط علينا، وخلفنا كانت قيادة ج المعركة ضدنا كان اسقاط الاتفاق الثلاثي الذي كنا وقعناه في دمشق، ولم نكن على استعداد لدفع دم في مقابل اتفاق سلام. وأ الجيش اللبناني، وحالت دون سقوطنا. في هذا الوقت اعطيت التعليمات بحرق الارشيف وأشرفت شخصياً على ذلك، وقمت الثانوية، وأجهزة الاتصال، وأحرقت المياكرو فيلم الذي كنا نملك نسخة ثانية منه اودعناه في احد المصارف الأوروبية.

قرار انتحار

شعرنا بأن ثمة حال انتحار جماعية يقوم بها المسيحيون، لأن الانتفاضة ترافقت مع انقلاب عام في الاجواء المسيحية. فمن نهار اذ سبق ان حضر الى مركز الجهاز وجلس في مكتبي وقال: "انا معكم" ولكن بعد 48 ساعة انقلب الجو العام المسيحي من خارجياً ما قلب المعادلة. ارجح ان قراءة اقليمية مختلفة للوضع ادت الى هذا الانقلاب المسيحي على الوضع.

كان لدينا خط مباشر مع وزارة الدفاع. وباشر الوزير ميشال المر اتصالاته، وحصل اتفاق لوقف اطلاق النار واقتنع جعجع بذلك المنطقة. في هذا الوقت اؤكد ان امكانات المقاومة كانت كبيرة، فمنطقة الاشرفية كلها لم يكن جعجع مسيطراً عليها، وقيادة جميعها كانت ما زالت في تصرفنا، ووحدات عسكرية وثكنات لم تكن قد سلمت ومستعدة للقتال. ولكن اخذ قرار بأن اتفاق السلام على هذا الاساس تقرر ان ننسحب، وجاءت ملالات الجيش ونقلتنا الى وزارة الدفاع. وفي اليوم الثاني جاءت طائرة مروحية

انا بقيت في الوزارة للاهتمام بالشباب وتأمين اوضاعهم، وانتظار مصائرهم. وكنا على اتصال بالأمن العام وقيادة الجيش و
وزارة الدفاع وسافرت بعده الى باريس.
في اليوم الثاني لي في وزارة الدفاع اتصلت بكريم بقرادوني لأشكره على اهتمامه بنقل زوجتي وابني الى الوزارة. بادرني بقراد
عن الهدف، فأكد لي ان قائد "القوات" يكن لي مشاعر ومودة، ولديه عرض لي. سألت في وزارة الدفاع عن نصيحة، فأش
بقرادوني بنفسه في حال رغبت في لقاء جعجع. قلت لكريم انني موافق وعرضت عليه شرطي فوافق وجاء في اليوم الثاني لي
جلد سوداء، وانني حملت قنبلة يدوية رمانة وسحبت حلقتها وأمسكتها بيدي في وضع يتيح انفجارها ما ان ارخي يدي عن "أ
يدي في جيب السترة وصعدت في سيارة بقرادوني وكان قراري ان اي محاولة لقتلي ستنتهي بانتحاري وبقتل جميع من في
وقدم لي عرضاً بأن استلم جهاز الأمن ولكنني رفضت، ويدي ما زالت في سترتي وعدت الى الوزارة ويدي الشمال ما زالت في
وصلنا الى زحلة على دفعات. كنا مجموعة من الشباب والعائلات غير المتجانسة بالمعنى الاجتماعي والحياتي. زحلة مثلت
ادوات كنا نحارب... لقد كانوا جميعهم ضحايا.

ما ان وصلنا حتى استأجرنا فندقاً هو الوحيد في المدينة على ما اعتقد، اما الشباب والعسكر فقد اسكناهم في خيم نصبت على
اقامتنا في زحلة موقتة، وان عملية عسكرية قريبة ستعيدنا الى بيروت، او هذا ما كنا وعدنا به. ومع مرور الوقت شعرنا ب
المدينة، خصوصاً ان عائلاتهم بدأت تتسرب من بيروت لتلتحق بهم.

زحلة والوجدان المسيحي

غالباً ما ارتبطت زحلة بالوجدان المسيحي بحبل سرة متين على رغم بعدها الجغرافي النسبي عن المناطق المسيحية، وعلى
السوري. وبما اننا كنا خونة في نظر الوجدان المسيحي، فقد عاملتنا المدينة وفقاً لما يمليه عليها وجدانها المسيحي. تعرض
محاولة تفجير، عبر سيارات مفخخة وعند هذا الحد قررنا ان وضعنا اصبح خطيراً وعلينا ان ننتشر داخل المدينة وان نتسلل الى
لم يقبل احد من اهالي زحلة ان يؤجرنا منزلاً، فإضافة الى موقفهم السياسي منا، انتاب ابناء المدينة شعور بأننا غرباء عنهم
ذلك المجتمع الضيق الذي يمثلونه. وبعد فشل محاولاتنا استئجار منازل في زحلة بدأنا بمصادرة المنازل غير المأهولة. صاد
نتغلغل في المدينة. وبدأت بعض الأوساط في المدينة تقبلنا بعد ان جاءت عائلاتنا واقامت معنا. فعوامل السكن والجيرة والنساء
تحت السياسة وفي غفلة منها. كما ان وجودنا كعائلات قرب صورتنا كضحايا من الزحلاويين.

ولكن تغلغلنا في المدينة كانت له صوره الأبشع من جهة اخرى. فقد كان معظم شبابنا عزاباً، وتربوا في ثكن عسكرية لم يتعلم
وهم نشأوا ايضاً وفي اعتقادهم انه يمكنهم فعل اي شيء يريدونه. نزلوا الى زحلة محملين بهذه الاعتقادات. مشكلات كثيرة و

محلات تجارية. كان الوضع خطيراً وأصعب من ان يضبط، وقد تعرضت لأكثر من محاولة قتل من قبل رفاقنا اثناء محاولاتي مذ
في نظرهم من خارج سلكهم، واقدامي على محاولة منعهم من ان يفعلوا ما يريدون فعله كان امراً في غاية الخطورة. اذكر ان د
فيه، كانوا يريدون قتلي، وحصلت اشتباكات بينهم وبيننا نحن سكان الفندق ومرافقينا ووقع عدد من الجرحى.

هؤلاء الشباب كانوا ضحايا، وكانوا يعيشون اوضاعاً مأسوية لا توصف. اجل لقد عاينت ذلك عن قرب. اذكر ذلك الشاب الذي
معدنية في احدى المعارك الداخلية في بيروت فأنقلب مدمناً على المخدرات. كان هذا الشاب يأتيني كل اسبوع ويطلب مني ان
افعل ذلك، ولكن ما ان افرج عنه حتى يعود الى التعاطي. كان آخرون يشترون من الصيدليات وبكثافة حبوباً مهدئة الى ان ؛
بيعهم هذه الحبوب.

الادمان كان احدى الوسائل التي اعتمدها كثر من هؤلاء الشباب للخروج من حال الاقتلاع التي راحوا يعيشونها في زحلة، ورا،
نار داخل الثكنات، وتهيوءات وهلوسات. حكايات من نوع ان احدهم رأى في ما يرى النائم ان شخصيات سينمائية ظهرت له
رحن يغرينه. شاب آخر قال انه فوجىء بقطيع خنازير يهاجمه وهو نائم في سريره فراح يطلق النار في الغرفة. وأحدهم اتهمن
حبلاً من ثقب صغير في سقف غرفته، علقت فيه الحقيبة وسرقتها. احب هؤلاء الشباب كثيراً فقد قربتني مآسيهم منهم وجعلتني
في هذا الوقت كنا نحاول الدخول الى النسيج الزحلاوي عبر ثلاثة خطوط. الخط الأول يتمثل برفاقنا السابقين من الزحلاويين، ف
لنا مواقفنا السابقة من المدينة، ويعرفون ادوارنا الحقيقية التي لعبناها اثناء الحصار في العام 1981. بدأ قسم من هؤلاء يجدد ؛
علاقات امنية من خارج التركيبة الحزبية عدنا واتصلنا به. كانت معظم الأقسام الكتائبية في منطقة زحلة تحتفظ بمخازن اسلحة،
جهاز الأمن، فراح رفاقنا الزحلاويون يسلموننا هذه الأسلحة، ومن لم يقدم على ذلك منهم كنا نستعمل معه لغة اخرى.

الخط الثاني الذي اشتغلنا عليه للدخول الى النسيج الزحلاوي تمثل بيساريي المدينة، وهم نوعان، اولئك الذين ما زالت تربطه
والآخرون الذين بدأوا حياتهم مع اليسار ثم عادوا وأقاموا علاقات مع الكتائب والقوات مع صعود بشير، ومن بينهم ناشطون
اليساريين عادوا وانتسبوا الى تنظيمنا عندما عدنا اطلقناه في زحلة.

الخط الثالث كان الفاعليات والوجوه الزحلاوية القريبة من سورية، وهؤلاء على قدر اعتبارهم اننا حلفاؤهم كانت لهم مخاو
المحتمل ان تنافسهم على زعامة المدينة. وهذه الخطوط الثلاثة لم تكن توصل الى المواطن الزحلاوي العادي الذي ظل يعتبرنا خ

اسعد شفتري يوضح: لم اقصد طرفاً واحداً

بعد نشر "الحياة" الحلقتين الاولى والثانية، جاءنا من السيد اسعد شفتري الآتي: "سمعت بعض ردود الفعل من أطراف مختلف
ان المقصود هو تسليط الاضواء على طرف واحد من أطراف الحرب اللبنانية وتبرئة آخرين، في حين كان القصد من عرخ
وعملية اعتقد انها جريئة للافادة من أخطاء الماضي، ودعوة للأطراف الأخرى كي تقدم على ما اقدمت عليه خصوصاً ان الار
الوحيد الذي اجرى هذا النقد فقد سبق ان قام بمثله النائب وليد جنبلاط عند نهاية الاحداث في لبنان. ولا بد من ان اكرر اننا
الماضي ولبناء المستقبل".

انقر هنا لقراءة الخبر من مصدره.



مواضيع ذات صلة

- أكثر اللاعبين غموضاً في حرب لبنان يروي قصته . حبيقة : خسرت وقررت الهجرة الى البرازيل لكن اتصالاً من خدام أعادني الى اللعبة 2
- أكثر اللاعبين غموضاً في حرب لبنان يروي قصته . حبيقة : حاول جعجع قتلي مرات وحاولت قتله ... والديبلوماسيون الايرانيون جاؤوا وراحوا الرابعة والأخيرة
- بقرادوني شاهداً في دعوى كرامي : اسرائيل اتبعت سياسة البيانو وفتنت بين الطوائف
- ايلي حبيقة... سيرة مقاتل في حرب أهلية
- لبنان وسورية